الدكتور صالح قنباز

فجع المجمع العلمي العربي بعضو عامل من جهابذة أعضائه الدكتور صالح قنباز ففقدت الشام بفقده أستاذاً مربياً ، وطبيباً نطاسياً ، وأديباً خطيباً ، ومخلصاً صالحاً في سيره وسيرته . هو صالح بن محمود بن صالح قنباز . ولد في حماة في حجر الطهر ومخافة الله ، من ابوين كريمين في سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٧ م فغذاه والده بلبان الفضائل ، وطبعه بطابع التدين ، وأتم دراسته الاولى في بلده ، فظهرت آثار نبوغه ، وجمال أدبه ، وانقلب بعد ذلك الى المدرسة الاميرية في سنة ١٣١٥ هـ فدرس فيها العربية والتركية والفرنسية ومبادئ العلوم . وكان خلال ذلك يدرس علوم الدين واللسان على أساتذة خاصة . ولما أنجز دروسه في هذه المدرسة مُرِّبياً بذكائه ودروسه على عامة أقرانه ، دخل المدرسة الثانوية في دمشق فتفتحت كمائم ذكائه وتجلت آثار قواه العقلية ، وتعرف الى الطبقة العلمية العاملة اذ ذاك وكان على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ولزم مجالسهم واخذ من علمهم وافكارهم ، وامتاز في درس الرياضيات امتيازه في سائر الدروس .

ولما أتم دروسه الثانوية تحوّل الى مدرسة الطب في دمشق ثم ذهب الى الاستانة وعاد بعد مدة لإكمال طبه فأتمه ، وكان اختصاصه بالامراض الباطنية ، ونال شهادته في سنة ١٣٢٨ هـ وعاد الى بلده يطب المرضى ويواسي البائسين ، ويخدم الامة بمعارفه ، ويلقي بعض الدروس في المدارس النظامية ، وأهم ماغلب عليه وعلق باجزاء نفسه علم التربية والتعليم ، لقفه من الكتب ، وثقف أكثره بالتجربة ومعاناة التدريس ، وكان له الرأي الجميع والقول الفصل في جميع ما وسد اليه من امور المعارف ، وما شارك فيه بالرأي في مجالسها ومدارسها ، او كما قال فيه احد المترجمين له : « ولا يعرف الحميون مشروعاً نافعاً تم في بلدهم ولا حركة مباركة قاموا بها الا كان هو رأسها او التيار الكهربائي في اسلاكها » .

وأدخل الجيش طبيباً في الحرب العامة فطاف الغامر من بلاد الشام وزار المدينة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنورة . ولما وضعت الحرب أوزارها أسس بمعاونة صديقه السيد نورس الكيلاني مدرسة وطنية دعيت « دار العلم والتربية » فكان منظمها وعميدها ومن أفضل أساتذتها . وهذه المدرسة الوطنية الوحيدة التي غنيت ببنائها واوقافها بما اغدق من المعاونات المالية عليها . وقد تم لها ذلك بفضل بعد نظر عميدها وكثرة مساعيه مع اهل الطبقة المثلى في بلده . وانتخب عضواً في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٢٣ وفي تشرين الاول ١٩٢٤ رحل الى باريز للبحث في المكتشفات الطبية الحديثة ومشاهدة دور الآثار والعلم فيها فانتخبته الجمعية الآسياوية في باريز عضواً فيها ، وعاد بعد ان قضى في عاصمة فرنسا نحو سنة وحج قبل ان يعوج بوطنه ، فكان حجه حجاً علمياً وحجاً دينياً .

والقى لدن عودته من الديار الحجازية والاقطار الفرنسية عشر محاضرات في النادي الادبي في حماة ، افاض فيما يجب علينا اخذه من المدنية الغربية ، وما يجب التباعد عنه ، ومثل الحياة الغربية في نظامها وترتيب دورها ومعاهدها واعمالها واقتصادها ومظاهرها ، مما كان له الاثر الطيب في ناشئة بلده . وللفقيد العزيز عدة تآليف لم تمثل بالطبع ، وكان يلقي بعضها على تلامذته منها كتاب الدرس الابتدائي في الفلسفة مع نظريات تاريخها ترجمه عن الافرنسية لمؤلفه اميل بوراك ، والف عدة كتب في العلوم الطبيعية وحفظ الصحة والنباتات ودروس الاشياء والاقتصاد للصفوف الثانوية ، ورسائل في تجويد القراءة وأخرى في تعليم الف با وثالثة في علم الفرائض ، شفعها ببحث في اصول تقسيم الاراضي بحسب القوانين الموضوعة اخيراً ، هذا عدا عشرات من محاضرات في التاريخ والادب والتربية غذى بها ارواح طلاب الاستفادة . وعشرات من المقالات العلمية والأدبية والسياسة التي فاضت بها قريحته في الصحف والمجلات ، وله مفكرات نفيسة ولا سيما في دور الكتب التي زارها في مصر والشام وفروق وباريز ومكة والمدينة .

وخص الفقيد بطلاقة في لسانه ادمجته في عداد الخطباء العلماء ، يخطب ساعة وساعتين بكلام ملؤه ادب ، وسداه الاخلاص ولحمته حب النهوض ، وله شعر لطيف خصه باغراض عالية من اغراض النفس ، وهاك نموذجاً منه قاله في وصف وادي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النار بين معان والعقبة والفرندل ووصف قاطنيه من عشيرة الحويطات وغيرهم وتعرض فيه لظلم العثمانيين وفساد إدارتهم :

سهول زانها شيح وعشب وأخرى كل تربتها رمال
واودية تخددها سهول بها رثم ورمث او سيال [1]
مياه نضحها نضح شحيح وكم من مثلها غدر وآل
وغابات بوادي العرب قامت تطل على جوانبها الجبال
تمر الشمس مشرقة عليها فتحرقها ومغربها « القنال »
وتبدو النجم حيناً فتجري ثقالاً ثم تغرب والهلال
بها قوم مساكنهم جميعاً كهوف او خيام او ظلال
سعيديون رهط لابن جاد حويطات وكلهم قلال
رؤوس ملؤها عقل وجهل ولم يمنع تقدمها العقال
عراة في اديم من سواد حفاة الجلد أخمصها نعال
يطوفون الفيافي كالجواري وهم في عين جارية عيال الخ

وله مقاطيع واناشيد وطنية جميلة اشتهرت في المدن الداخلية في الشام . ولما ثارت الفتنة في حماة يوم ١٧ ربيع الاول ١٣٤٤ (٤ تشرين الاول ١٩٢٥) قام بواجبه الانساني في تضميد جراحات الجرحى ، ومن الغد سمع من داره صوت احد ذوي قرباه فهب لنجدته فأصيب برصاصتين أصابتا منه مقتلاً فاستأثر به مولاه ، حميد الاثر ، مجيد الخطر .

اهم صفات المترجم له التؤدة والدؤوب ، والصبر والجد ، والسعي الى ترقية الامة من طريق التهذيب في هوادة وسكون طائر ، وفي الحق انه لم يفتر حياته عن بث دعوته الاصلاحية ، بالطرق العملية والعلمية ، وكان محبباً الى النفوس موقراً في

(١) (الرثم) نبت ابري الورق تطعمه الغنم وقد يصير شجراً و (الرمث) لا يطول كثيراً وهو ذو شوك قصير ترعاه الابل و (السيال) نبت ذو شوك ينبت في الارض الرملية و يصير شجراً وورقه ريشي صغير ترعاه الانعام فتسمن به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصدور ، قوي الحجة والعارضة ، ولو طالت ايامه لسمع صوت اصلاحه ومبادئه في التعليم والتهذيب في الشام بأسرها ، بل وتعداها الى الاقطار المجاورة .

وان كل من عرف الصديق الراحل ، ليقضي له بالتفرد بين ابناء جيله في عمله وتهذيبه ومراميه العالية في الاصلاح الاجتماعي الذي بدأ به من المدارس الوطنية القائمة على تقوية الملكات والعواطف القومية الشريفة . رحمه الله عداد حسناته لهذا الوطن وعزى الفضائل والآداب بهذا الرجل الصالح الذي استولى في هذا العمر القصير على خصل السبق في مضمار الجهاد العقلي والحياة الانسانية الكاملة فكان حقاً وصدقاً طبيب اشباح وحكيم ارواح .

م . ك